د. جمال حمدان
صاحب موسوعة «شخصية مصر»

نشرت جريدة أخبار الأدب في عددها رقم ١١٩٩ تحقيقا عن العالم العبقري د.جمال حمدان، وذكرت الجريدة في هذا التحقيق الكثير مما خفي من حياة هذا العالم الكبير، إلا أن المفاجأة الكبيرة كانت في نشر الجريدة وقتها عددا من اللوحات التي رسمها العالم الراحل، ومن بينها هذا البورتوريه داخل إطار الصورة المصاحبة للمقال، وهذا إن دل فإنما يدل على أن د. جمال حمدان العالم الكبير قد جمع بين العبقرية الفنية بجانب العبقرية العلمية.

وقد ولد جمال محمود صالح حمدان بقرية ناي محافظة القليوبية في يوم ٤ فبراير سنة ١٩٢٨، لعائلة تنحدر من قبيلة بني حمدان العربية، وحصل على شهادة الثقافة سنة ١٩٤٣، ثم حصل على ليسانس الآداب قسم الجغرافيا من جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٤٨، ثم حصل على شهادة دكتوراه الفلسفة في الجغرافيا من جامعة ريدنج البريطانية سنة ١٩٥٣م.

وبدأ د. جمال حمدان حياته العملية معيدا بقسم الجغرافيا بكلية الآداب جامعة القاهرة، وظل يتدرج في المناصب العلمية حتى بلغ درجة أستاذ الجغرافيا بالكلية، ولكنه اصطدم بما أدى به إلى الإستقالة من العمل الجامعي سنة ١٩٦٣، وهو ما زال في سن الخامسة والثلاثين من عمره، وخلاصة الموضوع أنه رأى من هم أقل منه شأنا وموهبة وعلما ودرجة يسبقونه ويتخطونه في الترقية، ولأنه كان رجلا معتدا بنفسه، فقد قدم استقالته من

منصبه الجامعي وتفرغ للبحث العلمي والإبداع الفكري، فنذر نفسه وعبقريته للبحث والدراسة والكتابة وظل معتكفا داخل شقته وانقطع عن العالم الخارجي تماما، وكانت شقته بمثابة الصومعة، فكان يدخلها ويغلق بابها على نفسه ولا يفتح لأحد أو يرد على أحد، إلا للبواب الذي يأتيه بطلبات المعيشة ولناشر كتبه إذا جاء للحديث معه فقط.

ومن أشهر مؤلفاته: أنماط من البيئات، وجغرافيا المدن، ودراسات في العالم العربي، وإستراتيجية الإستعمار والتحرير، و٦ أكتوبر في الإستراتيجية العالمية، واليهود أنثروبولوجيا، والمدينة العربية، وقناة السويس، والقاهرة، وسيناء في الإستراتيجية والسياسة والجغرافيا، ولكن تظل موسوعة «شخصية مصر .. دراسة في عبقرية المكان» هي الأكبر والأعظم والأروع والأشهر والأكثر انتشارا من مؤلفاته الأخرى، فقد قدم فيها تفسيرا جديدا للتاريخ المصري، واعتمد فيه على التحليل الجغرافي.

وقد أثارت هذه الموسوعة التي ظل يعمل عليها ١٠ سنوات كاملة حتى أكملها دويا هائلا وقت صدورها، وكان هذا الدوي حول ما جاء بها من حقائق كانت مخفية بين سطور التاريخ، وقد بلغ عدد صفحات هذه الموسوعة حوالى ٤٠٠٠ صفحة، واعتمد في كتابته لها على مصادر يعجز القارئ عن حصرها، فيكفى أن نعلم أنه اعتمد في المجلد الرابع من هذه الموسوعة فقط على ٢٤٥ مرجعا باللغة العربية و٧٩١ مرجعا باللغة الإنجليزية، هذا غير عشرات المقالات التي استعان بها وأثبتها في هذه الموسوعة الشهيرة.

وتم تكريم د. جمال حمدان بسبب نبوغه ومؤلفاته المبهرة

غير المسبوقة، حيث تم منحه جائزة الدولة التشجيعية في العلوم الاجتماعية سنة ١٩٥٩، وجائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية سنة ١٩٨٦، ووسام العلوم من الطبقة الأولى عن موسوعة شخصية مصر سنة ١٩٨٨، كما حصل على جائزة مؤسسة التقدم العلمى بالكويت.

وقد عرضت عليه مناصب عديدة منها تمثيل مصر في إحدى اللجان الهامة بالأمم المتحدة، ورئاسة جامعة الكويت وإنشاء وتولي إدارة وزارة التعليم العالى بليبيا وعضوية هيئة اليونسكو وعضوية مجمع اللغة العربية، ولكنه رفض كل تلك العروض مكتفيا بالعمل في الدراسة والبحث والكتابة في معشوقته الأولى الجغرافيا.

وقد عزل د. جمال حمدان نفسه داخل مسكنه المكون من غرفة واحدة وصالة بالدور الأرضى بالعقار رقم ٢٥ الكائن بشارع أمين الرافعى المتفرع من شارع هارون بالدقى، حيث لم يفتح باب شقته إلا للبواب من أجل أمور المعيشة ولناشر كتبه فقط، وعاش زاهدا وظل معتكفا داخل شقته الشبيهة بصومعة الراهب، حيث لم يمتلك د. جمال حمدان سيارة يوما أو تليفزيون أو حتى ثلاجة، فقد نذر نفسه فقط للبحث والدراسة والإبداع.

وكتب عنه صديقه الكاتب والصحفي الكبير أحمد بهاء الدين يوما يصف حالته المادية ومسكنه غير اللائق بعبقري مثله، وكان يهدف من وراء ذلك مساعدته بأن تصرف الدولة له معاشا إستثنائيا يتعيش منه، لكن وقعت الواقعة وكانت القطيعة بينهما حين علم د. جمال حمدان بذلك، فقد غضب منه غضبا شديدا واستمرت مقاطعته لصديقه الذي كان مقربا إليه حتى الممات.

وكانت وفاة د. جمال حمدان في يوم ١٧ أبريل سنة ١٩٩٣ نتيجة اشتعال النار في جسده ومسكنه بعد تسرب الغاز من أسطوانة البوتاجاز الموجودة بمطبخه، وقد أشيع وقتها أن الموساد الإسرائيلي هو الذي كان وراء مصرعه، وذلك بسبب ما صرح به د. جمال حمدان قبلها بأنه يعد كتابا عن اليهود والصهيونية يدحض فيه مزاعمهم بحقهم التاريخي في أرض فلسطين، ويكشف فيه أن اليهود الموجودين حاليا ليسوا من نسل اليهود الذين سكنوا أرض فلسطين قديما.

ومن المعروف أن اللواء عبدالعظيم حمدان شقيق د. جمال حمدان بالإضافة إلى ناشر كتبه قد أعلنا أنه كان يعد لثلاثة كتب جديدة منها هذا الكتاب، ولكن بعد وفاته لم يعثروا على ثمة أثر لأي من أصول هذه الكتب الثلاثة.

وللأسف الشديد وكما تم إهمال هذا العالم الكبير وعدم تقديره في حياته، فقد تم إهماله وتهميشه أيضا بعد وفاته، فمن منا اليوم يسمع عن العالم الكبير د. جمال حمدان عليه رحمة الله.

ملحوظة:

بعد كتابة المقال تواصل معي الأستاذ محمد محمود غنيمة وأفادني بأنه أعد دراسة عن د. جمال حمدان أصدرها بالاشتراك مع أ. أيمن منصور وصدرت عن مكتبة الإسكندرية، وكتب د. إسماعيل سراج الدين مقدمة لهذه الدراسة التي صدرت تحت عنوان «جمال حمدان وعبقرية المكان»، كما قال الأستاذ محمد محمود غنيمة بأن معظم المصادر المذكورة هنا قد نقلت عنه هذه المعلومات، كل التحية والتقدير والاحترام للأستاذ محمد

محمـود غنيمـة والأسـتاذ أيمـن منصـور ولمكتبـة الإسـكندرية.

المصادر:

دراسـة أعدهـا محمـد محمـود غنيمـة وأيمـن منصـور عـن د. جـمال حمـدان صـادرة عـن مكتبة الأسـكندرية.

كتاب موسوعة نساء ورجال من مصر لمعي المطيعي.

كتاب «موسوعة ١٠٠٠ شخصية مصرية» لمعي المطيعي.

كتاب «الموسوعة في أعلام الدنيا» مجدى سيد عبد العزيز.

مجلة الأهرام العربي ٢٣ أبريل ٢٠١٤م.

جريدة اليوم السابع ٢٤ يونيو ٢٠١٠م.

مجلة المصور ١ سبتمبر ٢٠١٠م.

جريدة أخبار الأدب العدد ١١٩٩

جريدة الأهرام العدد ٤٦١٥٨